مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٨) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (8) 2026

الاتّساق النّصّيّ في معلّقة امرئ القيس
الإحالة بالضّمائر ، مشهد الطلل والمرأة أنموذجاً

أ. د. غياث بابو*

د. حكمت بربهان**

عبد السّتار محمّد المصري***

(تاريخ الإيداع ١٣/١ /٢٠٢٦. قُبِل للنشر في ١٦/٤ /٢٠٢٦)

□ ملخّص □

تتعدّد مظاهر الاتّساق النّصّي في معلّقة امرئ القيس؛ إذ تحتوي كثيرا من إحالات الضّمائر بأنواعها: المقاميّة المرتبطة بالسّياق التّخاطبي والخارجيّة التي تشير إلى مراجع خارج النّصّ، والدّاخليّة المحيلة على عناصر سابقة أو لاحقة داخله، وتعدّ إحالة الضّمائر من أبرز وسائل التّماسك والانسجام النّصّيّ؛ إذ تسهم في ربط أجزاء النّصّ الشّعريّ، وتؤدّي وظيفة دلاليّة وتنظيميّة على مستوى بناء المعنى.

يتنقّل الشّاعر بين ضمائر المتكلّم والمخاطب والغائب على مساحة المعلقة كاملة هذا التنقل يعكس تنوّع المقامات التّعبيريّة فيها، ففي مشاهد الوقوف على الأطلال توظّف ضمائر المتكلّم والمخاطب لإضفاء طابع وجداني تفاعليّ في حين تظهر الضّمائر الخارجيّة عند الإشارة إلى شخوص أو أحداث تقع خارج الحيّز النّصّيّ المباشر، وتستخدم الضّمائر الدّاخليّة لربط المقاطع الشّعريّة وتحقيق التّماسك الدّاخلي للقصيدة.

تؤكد الدراسة أن تحليل الإحالة بالضمائر يمثل مدخلًا لفهم البنية النصية والدلالية في الشعر الجاهلي وربط التراث البلاغي العربي بالمقاربات اللسانية الحديثة مما يعزز إدراك القارئ للآليات الأسلوبية والنصيحة في بناء المعنى الشعري

الكلمات المفتاحيّة: الاتّساق، الإحالة، االطلل ،المرأة ،الفرس ،المعلّقة، امرؤ القيس.

* أستاذ النّحو والصّرف في كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، بجامعة اللاذقيّة باختصاص النحو و الصرف.

**مدرس النّحو والصّرف في كلّية الآداب والعلوم الإنسانيّة، بجامعة اللاذقيّة باختصاص النحو والصرف.

*** طالب دكتوراه في كلّيّة الآداب والعلوم الإنسانيّة، بجامعة اللاذقيّة.

مجلة جامعة طرطوس للبحوث والدراسات العلمية _ سلسلة الآداب والعلوم الإنسانية المجلد (١٠) العدد (٨) ٢٠٢٦
Tartous University Journal for Research and Scientific Studies –Arts and Humanities Series Vol. (10) No. (8) 2026

Textual Consistency in Imru' al-Qais's Mu'allaqa Referring to Pronouns as a Model

Prof. Dr. Ghiyath Babu*
Dr. Hikmat Barbahan**
Abd al-Sattar Muhammad al-Masri***

(Received 13/1 /2026. 16 /4/2026)

□ ABSTRACT□

The manifestations of textual consistency in Imru' al-Qais's Mu'allaqat are numerous, as it contains many types of pronoun references: situational, linked to the communicative context, external, referring to references outside the text, and internal, referring to previous or subsequent elements within it, The use of pronouns is one of the most prominent means of textual cohesion and coherence, as it helps connect the various parts of a poetic text and performs a semantic and organizational function at the level of constructing meaning.

Imru' al-Qais's Mu'allaqa reveals the poet's genius in employing pronouns of all types; the poet shifts between the pronouns of the first-person, second-person, and third-person throughout the entire Mu'allaqa. In the scenes of standing on the ruins, the first-person and third-person pronouns are used to add an interactive, emotional character, the external pronouns appear when referring to characters or events that occur outside the direct textual space, while the internal pronouns are used to connect the poetic sections and achieve the internal cohesion of the poem.

Keywords: consistency, reference, Mu'allaqat, Imru' al-Qais.

* Professor of Grammar and Morphology at the Faculty of Arts and Humanities, Lattakia University.
** Professor of Grammar and Morphology at the Faculty of Arts and Humanities, Lattakia University.
*** PhD student at the Faculty of Arts and Humanities, Lattakia University.

مقدّمة:

هدفت الدّراسة إلى تحليل مظاهر الإحالة الضّميريّة في معلّقة امرئ القيس عبر تتبّع أنواعها المقاميّة والخارجيّة والدّاخليّة، وبيان دورها في تحقيق الاتّساق النّصّيّ. وتنبع أهمية دراسة الإحالة بالضمائر في وصف الطلل والمرأة في المعلقة من جملة أمور من أبرزها :

1 - إبراز الدور التي تؤديه الضمائر في تحقيق الاتساق النصي وربط الأبيات بعضها ببعض داخل بنية المعلقة.

٢-الكشف عن كيفية توظيف الشاعر الضمير للإحالة إلى الطلل، بوصفه رمزا للماضي والذكريات مما يعمق الدلالة الشعورية للنص.

٣-بيان أثر الإحالة الضميرية في تصوير المرأة وإضفاء الحيوية على حضورها في الخطاب الشعري.

٤-توضيح العلاقة بين الضمائر والمرجعيات النصية وكيف تسهم في توجيه القارئ إلى فهم المعنى المقصود دون تكرار لفظي مباشر.

أهمية البحث :

- برزت أهميّة البحث في إعمال أدوات الدّروس الحديثة اللسانيّة في نصّ عربيّ قديم.
- إبراز العلاقات المرجعية التي تقيمها الضمائر مع العناصر السابقة أو اللاحقة في النص.
- إبراز القيمة الأسلوبية والبلاغية لاستخدام الضمائر في شعر امرئ القيس وماتحققه من اختصار لغوي وكثافة دلالية.
- تطبيق مفاهيم لسانيات النص في تحليل نص شعري من الشعر الجاهلي وإبراز مظاهر الترابط النصي فيه.

منهج البحث :

اتّبع البحث المنهج الوصفيّ التحليليّ الذي يعين في تتبّع الظّاهرة ودراستها وتحليلها ، كما يستفيد البحث من مقاربة لسانيات النص في الكشف عن العلاقات الإحالية التي تقيمها الضمائر داخل النص، وبيان دورها في تحقيق الاتساق والترابط بين الأبيات من خلال تحديد المرجعيات التي تعود إليها هذه الضمائر سواء أكانت قبلية أم بعدية.

الدراسات السابقة :

عُنيت معلقة امرئ القيس بكم هائل من الدراسات و الأبحاث في كافة المجالات اللغوية ومن أبرز هذه الدراسات الحديثة نذكر :

١- البنية النصية ودلالتها في معلقة امرئ القيس للباحث موساوي عمار حيث ركز الباحث على الدلالة ودورها في تحديد البنية النصية ...

٢. أما دلالات الجمل النحوية في الخطاب الشعري تطبيقات على معلقة امرئ القيس للباحث موفي بوزيد فقد ركزت على كامل الجمل النحوية دراسة نظرية تطبيقية على أبيات المعلقة، متخذة من الدلالة مادة ثرية لها.

٣- أما دراسة "المعايير النصية في معلقة امرئ القيس" لمحمد ناصر عبدالمنعم فقد ركزت على التماسك النصي والانسجام والقصدية في المعلقة.

٤- وقد ركز الباحث أحمد أحمد موسى في دراسة "مواقع الجملة المنفية في معلقة امرئ القيس وأثرها في تعميق الدلالة البلاغية " على الأبعاد اللغوية والبلاغية للجملة المنفية، وبيّن كيف تؤثر هذه الظاهرة في بنية النص ، وإسهام الضمائر في الإحالة المرجعية إلى الأحداث أو الأشخاص مما يعزز الاتساق النصي.

٥- كما جاءت دراسة الباحث خالد عبدالله الجوهري "الإحالة والربط النصي في الشعر الجاهلي " حيث سلط الضوء على دور الضمائر في ربط المقاطع الشعرية ببعضها، مستعرضا أمثلة من المعلقة.

وهنالك الكثير من الأبحاث والدراسات المنشورة في مجلات ودوريات تناولت المعلقة بالدراسة والشرح.
واستقام البحث في مقدّمة وتعريف بمفهوم الإحالة، ومن ثمّ دراسة الإحالة بالضّمائر في معلّقة امرئ القيس، وقد توزّعت هذه الدّراسة وفق مشاهد المعلّقة (الطّلل، المرأة، الطّبيعة، الفرس، الليل)، وانتهت الدّراسة بخاتمة تضمّنت أهمّ النّتائج التي توصّل إليها البحث، تلاها ثبت المصادر والمراجع.

مفهوم الإحالة:

هي ما تُحيل إليه العناصر اللغويّة داخل الخطاب، وقد تُطلق على "قسمٍ من الألفاظ التي لا تملك دلالةً مستقلّة، بل تعود على عنصر أو عناصر أخرى مذكورة داخل أجزاء الخطاب، فشرط وجودها قائمٌ على النّصّ، كما أنّها تقوم على مبدأ التّماثل بين ما سبق ذكره في مقام، وبين ما هو مذكورٌ في مقامٍ آخر بعد ذلك" [١] ، وهي: "العلاقة القائمة بين الأسماء والمسمّيات، وتخضع لوجوب تطابق الخصائص الدّلاليّة بين العنصر المُحيل، والعُنصر المُحال إليه" ، وقد حدّدها هاليدي وحسن بأنّها "تلك العناصر التي لا تكتفي بذاتها من حيث التّأويل، بل لا بدّ من العودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها" ، هذه العناصر الإحالية هي الإحالة بالضّمائر وأسماء الإشارة، وأدوات المقارنة، والأسماء الموصولة، وتنقسم الإحالة إلى نوعين رئيسين: إحالة مقاميّة، وإحالة نصّيّة، فالإحالة المقاميّة تُسهم في خلق النّصّ إلا أنّها تُسهم في اتّساقه بشكل مباشر، في حين تقوم الإحالة النّصّيّة بدور فعّال في اتّساق النّصّ ، وتقسم الإحالة النّصّيّة حسب ما تحيل إليه إلى إحالة قبليّة، وإحالة بعديّة، وتوجّه القبليّة القارئ إلى الرّجوع إلى الجمل أو الخطابات السّابقة حتّى يتسنّى له الفهم، في حين توجّه البعديّة القارئ إلى قراءة جمل أو فقرات مذكورة لاحقاً [٥] .
وبذلك، فإنّ ما يعنينا في دراسة الإحالة هو ما تُحيل إليه عناصر اللغة داخل اللغة ذاتها، وهي الإحالة الدّاخليّة Endophora ، ولن نهتمّ بالإحالة الخارجيّة Exaphora، وعناصر الإحالة إذن هي أربعة:

١- شخصية Personal: أنا، هو، أنت....
٢- إشاريّة Demonstration: هذا، هؤلاء.
٣- مقارنة Comparative: أفضل، كما، وغيرها من الأفعال.
٤- الموصولات: Relative: الذي، الذين.

وألفاظ المقارنة تنقسم إلى عامّة يتفرّع منها التّشابه (مثل، كما، يشبه...)، والتّطابق (بعض، قليل، ...)، والاختلاف (آخر، بالرّغم من...)، وخاصّة تتفرّع إلى كميّة (أكثر...)، وكيفيّة (أجمل، جميل مثل...) وهي تقوم بوظيفة اتّساقيّة تماسكيّة مثلها مثل الضّمائر [٦]

---

[١] الزّناد، الأزهر: نسيج النّصّ- بحث فيما يكون به الملفوظ نصّاً، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٣م، ص٢٧.

[٢] عفيفي، أحمد: نحو النّصّ – اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ، مصر: مكتبة زهراء الشّرق، ط١، ٢٠٠١م، ص١١٦.

[3] Halliday and Hasan: Cohesion in English, p.340.

[4] Op cid, p. 37.

[5] ينظر: Halliday and Hasan: Cohesion in English, p. 33.

[٦] خطّابي، محمّد: لسانيّات النّصّ- مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربيّ، بيروت-لبنان، ط١، ١٩٩١م، ص١٩.

عناصر الاتّساق الإحاليّة:

١ – الضّمائر:

تكتسب الضّمائر أهمّيّتها فيما تحيل إليه، فهي تنوب عن الأفعال والأسماء والعبارات، والضّمائر في العربيّة منها ما هو منفصل، ومنها ما هو متّصل، وهي من المعارف، ولذلك فإنّها تربط ما قبلها بما بعدها، ووظيفته اللغويّة الاختصار، ومنع التّكرار، فهو بذلك يمتلك وظيفتي الرّبط والمرجعيّة، وقد اهتمّ علماء النّصّ المعاصرون بالضّمائر بوصفها عنصراً رئيساً في تحقيق التّماسك الشّكليّ والدّلاليّ، ويتجدّد دور الضّمير على مستوى التّركيب من دوره في التّرابط الجملي، أمّا دوره في التّرابط على المستوى الدّلاليّ فيتحدّد من خلال المطابقة بين الضّمير الرّابط والمرجع الذي يعود عليه داخل البنية اللغويّة؛ لأنّ المطابقة تؤدّي إلى اتّساق النّصّ وانسجامه على المستوى اللغويّ، وعدمها يؤدّي إلى تفكّك النّصّ، وإذا تمّ التّرابط النّصّيّ وانسجامه على المستوى اللغويّ تمّ الانسجام على مستوى المعاني التي يُحيل إليها النّصّ.

وتقسم الضّمائر إلى نوعين:

- وجوديّة: أنا، نحن، أنت، هو، أنتما، هم.
- ضمائر ملكيّة: بيتي، بيتك، ...

ومن المعلوم أنّ الضّمائر تُحيل إحالةً سياقيّة إلى خارج النّصّ، مثل ضمائر المُتكلّم التي قد تُحيل إلى الكاتب أو المُتلقّي، فهي ضمائر تقوم بتجديد أدوار الكلام، أمّا الضّمائر التي تُحيل إلى النّصّ ذاته، فهي التي تقوم بربط أجزائه، وتصل بين أقسامه، فتكوّن نسيجاً نصّيّاً عالياً، وهي ضمائر الغائب التي لا تشير إلى أشخاص أو أشياء وحسب، بل تشير إلى فقرات مذكورة فيما سبق، وهو الدّور الذي تؤدّيه أسماء الإشارة (ذا)، في هذا، وذلك [١].

وهذه الضّمائر ذات وظيفة إحاليّة شكليّة ودلاليّة، وهي وظيفة داخليّة، في حين يؤدّي السّياق دوراً مهمّاً في تحديد مرجعيّة الضّمير، إذا كانت خارجيّة، وهو "تخيّل ينبني انطلاقاً من النّصّ نفسه، بحيث إن الإحالة داخله يجب أن تكون نصّيّة" [٤]، وهنا يميّز هاليدي وحسن بين الضّمائر التي تُحدّد أدوار الكلام (المُتكلّم والمُخاطَب)، والضّمائر التي تؤدّي أدواراً أخرى، كضمائر الغائب؛ إذ إنّها تقوم بربط أجزاء النّصّ، وتصل بين أقسامه، ولفتا الانتباه إلى صيغة المبنيّ للمجهول، وما يُحيل إليه اسم المفعول من إشارةٍ مرجعيّة، وهي تُسهم كما الضّمائر الصّريحة في بناء الاتّساق الدّاخليّ للنّصّ، عبر خلق شبكة خطيّة من الإحالات المرتبطة سابقها بلاحقها [٢]، والمرجعيّة هي علاقة دلاليّة ترْبط المثال من اللغة بالبيئة عندما تكون خارجيّة، أمّا الدّاخليّة فتُعرف من خلال تركيب النّصّ داخليّاً [٣]، وقد أجمل الباحثون تصنيف هاليدي وحسن للضّمائر بحسب دورها في عمليّة التّخاطب إلى نوعين:

---

[١] ينظر: الفقي، صبحي إبراهيم: علم اللغة النّصّيّ بين النّظريّة والتّطبيق – دراسة تطبيقيّة على السّور المكيّة، دار قباء، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م، ج١/١٦٢.

[2] Halliday and Hasan: Cohesion in English, p. 50.

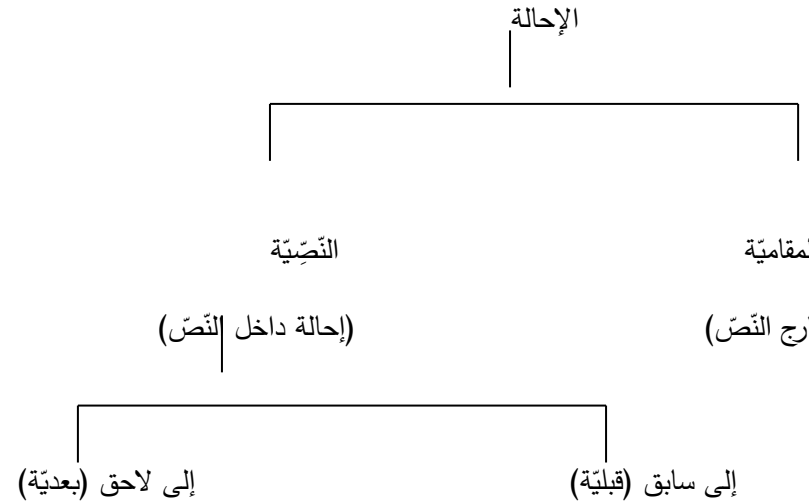
[3] Opcit, p.52.

[4] Op cit, p. 50.

أ- ضمائر لها علاقة ودور في عمليّة التّخاطب: وهي ضمائر المُتكلّم، والمُخاطَب، وهي ذات إحالة مقاميّة (سياقيّة)، لا دور لها في تحقيق تماسك النّصّ إلا في حالات خاصّة جدّاً، تكون فيها ذات إحالة مقاليّة (نصّيّة)، وعندها يمكن أن تُسهم في تحقيق الاتّساق.

ب- ضمائر لا دور لها في عمليّة التّخاطب: وهي ضمائر الغائب، وهي عناصر ذات إحالة مقاليّة تُسهم في تحديد الاتّساق، ويبطل دورها عندما تكون ذات إحالة مقاميّة (سياقيّة) .[1]

ويمكن تلخيص أنواع الإحالة بالمخطط الآتي:[2]



الإحالة بالضّمائر في معلّقة امرئ القيس:

١- الإحالة بالضّمائر في مشهد الطّلل :[3]

تربط الإحالة النّصيّة بين أجزاء المعلّقة باستخدام أدوات شتّى من أهمّها الضّمائر؛ إذ يحيل بوساطة هذه الضّمائر إلى عناصر سابقة عبر إحالة خلفيّة سابقة، أو إحالة أماميّة لاحقة، وهذا يسهم في ترابط النّص وانسجامه، ففي البدء استهلّ الشّاعر المعلّقة بقوله (قفا) وهو خطاب موجّه إلى مخاطبين اثنين غير معروفين في قوله: (قِفا نبكِ مِنْ ذكرى حبيبٍ ومنزلِ)، فألف الاثنين فاعل في فعل أمر موجّه إلى مثنّى، ويشير إلى ضمير المخاطَب (أنتما)، ثمّ نجد الكلمة الثّانية (نبكِ) ليتحوّل من الخطاب إلى التّكلّم، فضمير المتكلّم للجمع (نحن) تضمن الشّاعر مع المخاطَبين كليهما، وهذا دأب الشّعراء الجاهليين، ويمكن رصد إحالات الضّمير في المشهد الطّللي السّابق بالآتي:

الوظيفة النّصيّة	نوع الإحالة	الضّمير	نوعه
استدعاء المخاطبين	أماميّة	ألف الاثنين	مخاطب
	خلفيّة	نحن المستتر	متكلّم

[1] الشّاوش، محمّد: أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة – تأسيس (نحو النّصّ)، جامعة منوبة، المؤسّسة العربيّة للتّوزيع، تونس، ٢٠٠١م، ص١٢٦.

[2] خطّابي، محمّد: لسانيّات النّصّ، ص١٧.

[3] ينظر: امرؤ القيس: ديوان امرئ القيس، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط٥، ص٨-٩. الأبيات من ١-٦.

لقد أفادت الإحالة في المعلّقة تحقيق الاتّساق المتأتّي من ربط الجمل والأبيات بعضها ببعض، وهذا يجعل النّص وحدة متكاملة منسجمة، إذ نجد تحقّق العنصر الذي يعكس تطوّر الشّعور من الانطلاق من الطّلل مروراً بالذّكرى فالأحداث المتتالية؛ إذ تتكرّر الضّمائر وتتحوّل وظائفها، حتّى تصل إلى مرحلة التّخييل عبر استدعاء المخاطبين ليشاركاه تجربته الشّعوريّة.

نلاحظ استعمال الضّمائر في المعلّقة يخضع لقواعد الإحالة السّياقيّة، لكن نجد في الوقت ذاته غموضاً إحاليّاً متعمّداً فالحبيب (من ذكرى حبيب ومنزل) غير معروف، والمخاطبان (قفا) غير محدّدين، وهذا يخدم البنية الشّعريّة ويمنح النّص تعدداً في التّأويل، ويمكن أن نسمي ذلك بالإحالة النصية المجهولة أو الإحالة إلى محدد غير معروف.

لقد كانت الإحالة منذ البداية مدخلاً غنيّاً لتحليل النّصّ من منظور لساني حديث، فلم تكن الضّمائر مجرّد حلقات وصل للرّبط النّحوي بين الأجزاء النّصيّة إنّما كانت بناءً شعريّاً يعمّق التّخييل ويفتح أفق التّأويل المفتوح وفي قوله: (فتوضحَ فالمقراةَ لم يعفُ رسمُها لما نسجتها من جنوبٍ وشمألِ)، توضح والمقراة موضعان، لكن أثرهما باقٍ (لم يعف رسمها)، فالضّمير في رسمها يعود على (توضح، المقراة) باعتبارهما المكان المذكور، ثمّ نرى قوله (لما نسجتها)، فالضّمير (ها) يحيل على الرّسم الخاص بالدّيار، فكانت الإحالة أداة ربط بين الدّار والأثر المتبقّي منها، فالإحالة في (رسمها) قبليّة، وفي نسجتها قبليّة أيضاً و الإحالة هنا إحالة مكانية حيث يحيل الشاعر إلى الأمكنة العزيزة على قلبه، لأنّ المحال عليه ورد قبل الضّمير، أي إنّ الضّمير عاد على عنصر مذكور سابقاً في سياقه، وفي قوله (ترى بعر الأرام في عرصاتها وقيعانها كأنّه حبّ فلفل)، نرى الضّمير (ها) في (عرصاتها، قيعانها) متّصلاً يحيل على الأرام، مشيراً إلى العرصات والقيعان التي تخصّ الآرام(الظّباء)، فالإحالة نصّيّاً هي إحالة قبليّة لأنّ المرجع (الأرام) مذكور قبل الضّمير، ونجد الضّمير في عرصاتها وقيعانها ضمير متّصل أفاد ملكيّة المكان للأرام، فكنّا أمام ربط بين المكان وآثاره بما يكوّن مشهداً مترابطاً بصريّاً في الذّهن، لكن حين قال (كأنّه حبّ فلفل) أحال قبليّاً على (بعر الآرام)، فكان الحرف النّاسخ (كأنّه) أداة لإضفاء صورة جماليّة دقيقة.

وفي قوله: (كأنّي غداةَ البينِ يومَ تحمّلوا لدى سمراتِ الحيّ ناقفُ حنظلِ) يشبّه الشّاعر نفسه في موقف البين كمن ينقب ثمرة الحنظل إشارة إلى المرارة والحزن الشّديدين، فكان الضّمير في (كأنّي) يحيل على المتكلّم الشّاعر في إحالة غير نصيّة، لأنّ الضّمير يعود على المتكلّم الموجود خارج النّص نفسه وليس على عنصر مذكور داخل السّياق، مما بلور الموقف الشّعوري للشّاعر ومهّد للصّورة التّشبيهيّة التي أوضحت المرارة ونجد قوله (تحمّلوا) يحمل واو الجماعة الذي يحيل على الجماعة المرتحلة في إحالة ضميريّة عبّرت عن فعل الرّحيل المؤلم، وهنا يمكن توزيع الإحالة وفقاً للآتي:

الوظيفة	نوع الإحالة	المحال عليه	شكل المحيل	المحيل
تحديد الذّات المتكلّمة والموقف العاطفي	خارجيّة	الشّاعر	ضمير متّصل	ياء المتكلّم (كأنّي)
بيان فاعليّة الرّحيل والفقد	داخليّة ضمنيّة	الجماعة المرتحلة	ضمير متّصل	واو الجماعة في (تحمّلوا)

فالإحالة حملت بعداً شعوريّاً، وأبقت المتلقّي في دائرة الحزن والفقد، وفي قوله: (وقوفاً بها صحبي عليّ مطيّهم يقولون لا تهلكْ أسىً وتجمّلِ)، نجد الدّعوة للوقوف عند ديار المحبوبة والدّعوة للتّحلّي بالصّبر، وفقاً للمتن الإحالي الآتي:

الوظيفة	نوع الإحالة	المحال عليه	شكل المحيل
تحديد مكان الوقوف (ديار المحبوبة)	خارجيّة	الدّيار	ضمير متّصل
بيان علاقة المتكلّم بالأصحاب	خارجيّة	الشّاعر	ضمير متّصل
توجيه الفعل نحو الشّاعر	خارجيّة	الشّاعر	ضمير متّصل
إبراز الفاعل النّاطق بالقول	قبليّة	الأصحاب	ضمير متّصل
تبيين أنّ المخاطب هو الشّاعر نفسه الذي تمّ توجيه النّصح إليه	خارجيّة	الشّاعر	ضمير متّصل

لقد كثّفت الإحالة الحالة الشّعوريّة، فعكس ضمير الخطاب الحوار الدّاخلي والخارجيّ بين الشّاعر وأصحابه، وفي قوله: (وإنّ شفائي عبرة إن سفحتها)، نرى العلاج بالبكاء الذي يفرّغ المخزون الانفعاليّ ونرى المحيلات وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	الوظيفة	المحال عليه	نوع الضّمير	المحيل
خارجيّة	تخصيص آليّة شفاء الشّاعر	الشّاعر	متّصل	ياء المتكلّم في (شفائي)
قبليّة	إبراز أثر البكاء من خلال ربط الفعل بالدّمعة	العبرة	متّصل	ها الغائب في (سفحتها)

لقد ربط ضمير الغائب (ها) بين الدّمعة والفعل(سفحتها)، ممّا خلق تسلسلاً بصريّاً ومعنويّاً معاً بين الشّعور والفعل، وكان ضمير المتكلّم (الياء في شفائي) مجالاً لإظهار العلاقة الشّخصيّة بين الألم والانفراج ممّا كثّف الحمولة الشّعوريّة، وفي قوله: (وإنّ شفائي عبرة مهراقة وهل عند رسم دارس من معوّل) تساؤل يحمل الحزن والحنين والتّساؤل عن إمكانيّة احتواء الدّيار المهجورة على ما يثير أو يشفي المارّ بها.

ونرى وجود الضّمير المستتر يناسب دلالة الأطلال الصّامتة، ثمّ جاء الاستفهام الإنكاريّ الموحي بالنّفي واليأس والحسرة في إطار توظيفه مع الإحالة الضّمنيّة لخدمة هذا الشّعور، ونعلم أنّ ذلك تمّ في لغة موحية، واللغة من "أهم وسائل الاتّصال الإنسانيّ" [1]، فالشّاعر يسعى للاتّصال مع متلقّيه وإشراكه في تجربته الشّعوريّة.

٢- الإحالة بالضّمائر في مشهد المرأة : [2]

لجأ الشّاعر إلى الإحالة الضّميريّة في سبيل إقامة نصّ متناسق، ممّا يكوّن شبكة من العلاقات الإحاليّة بين العناصر المختلفة والمتباعدة في فضاء النّصّ، وهذا يعزّز التّرابط النّصّيّ ولاسيّما في مشهد يشكّل قلب التّجربة العاطفيّة لدى الشّاعر الذي قارن بين محبوبته ونساء سابقات في ذاكرته؛ إذ استعان بالإحالة الضّميريّة التي شكّلت وسيلة لغويّة للإشارة إلى شيء يفهم من السّياق دون تكرار الاسم، ممّا يحقّق تماسكاً نصّيّاً واقتصاداً لغويّاً متنوّعاً بحسب الضّمير، فالشّاعر يصف المحبوبة ويذكر مغامراته الليليّة معها، ويصف تفاصيل جسّدها وسلوكها عاقداً المقارنات ومستعرضاً مشاعر شوقه وحبّه راسماً تجربة عشق مؤثّرة، ففي قوله: (كدينك من أمّ الحويرث قبلها وجارتها أمّ الرّباب بمأسل) نجد كاف الخطاب إحالة إلى الحبيبة المخاطَبة، وهذا استدعاء لقياس تجربتها الحاليّة مع ذكريات نساء سابقات، ليدلّ على

[1] بوقرة، نعمان: المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النّص وتحليل الخطاب /دراسة معجميّة/، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط١، ٢٠٠٩، ص٩.

[2] ينظر: ديوان امرئ القيس، ص٩-١٨. الأبيات من ٧-٤٣.

خبرة الشّاعر الغزليّة ويعطي عمقاً لعلاقته بمحبوبته، وفي قوله: (ففاضت دموع العين منّي صبابة على النّحر حتّى بلّ دمعي محملي) نجد إحالة شخصيّة متمثّلة بياء المتكلّم المحيلة على الشّاعر في (منّي، دمعي، محملي) وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	المحيل	الوظيفة
شخصيّة خارجة	المتكلّم الشّاعر	ياء المتكلّم	إبراز تجربة الشّاعر
شخصيّة خارجة	المتكلّم الشّاعر	ياء المتكلّم	إبراز تجربة الشّاعر
شخصيّة خارجة	المتكلّم الشّاعر	ياء المتكلّم	إبراز تجربة الشّاعر

لقد كانت الإحالة مقاميّة؛ لأنّها أحالت على المتكلّم/الشّاعر الذي لم يذكر اسمه في النّصّ، بل فهم من المنجز الشّعريّ؛ إذ إنّ "الإحالة تؤدّي إلى الاقتصاد اللغويّ من حيث إنّها تقلّل الألفاظ" [١] وفي قوله: (وبيضة خدر لا يرام خباؤها تميس مشي المرفد المتكاسل) ضمائر تحيل على المحبوبة الغائبة، فهو ينتقل من الحبيبة بوصفها المخاطَبة إلى رمز أنثوي خفيّ وهذا يعمّق التّوصيف الجماليّ، أمّا قوله: (ألا ربّ يوم لك منهنّ صالح ولاسيّما يوم بدارة جلجل)؛ نرى الإحالات الآتية:

نوع الإحالة	المحال عليه	المحيل	العبارة
مقاميّة	المخاطِب غير المذكور	كاف الخطاب	لك
مقاميّة	نساء غير مذكورات صراحة	هاء الغائب للجمع	منهنّ

وفي قوله: (ويوم عقرت للعذارى مطيّتي فيا عجباً من رحلها المتحمّل) نجد إحالة مباشرة ظاهرة؛ لأنّ الضّمير يعود على المتكلّم نفسه المذكور صراحة في النّصّ، فياء المتكلّم مرجعها يحيل على ناقة الشّاعر في إحالة واضحة قريبة، وكذلك رحلها الذي حوى (ها) الغائب المحيلة على المطيّة، وذلك وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	نوعه	الضّمير
مباشرة خارجيّة	الشّاعر	ضمير متّصل	تاء الرّفع في (عقرتُ)
مباشرة داخليّة قبليّة	المطيّة/ النّاقة	ضمير متّصل	ياء المتكلّم في (مطيّتي)
مباشرة داخليّة قبليّة	المطيّة	ضمير متّصل	هاء الغائب في (رحلها)

وفي قوله: (يظلّ العذارى يرتمين بلحمها وشحمها كهداب الدّمقس المفتّل)، نجد إحالات سياقيّة ضمن تسلسل الأبيات، وهي قبليّة؛ لأنّ المرجع ذُكر أوّلاً، فنجد (ها) و(نون النّسوة) وذلك وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير	الوظيفة
قبليّة	المطيّة	هاء الغائب في (لحمها)	وصف علاقة العذارى بالمطيّة
قبليّة	المطيّة	هاء الغائب في (شحمها)	وصف علاقة العذارى بالمطيّة
قبليّة	العذارى	نون النّسوة في يرتمين	وصف علاقة العذارى بالمطيّة

وفي قوله: (ويوم دخلت الخدر خدر عنيزة فقالت لك الويلات إنّك مرجلي)، نجد ضمير المتكلّم التّاء المحيل على الشّاعر إحالة داخليّة؛ إذ إنّ الفاعل مذكور ضمنيّاً في الفعل، وهي قبليّة لأنّ مرجعها سابق، ثمّ نجد (فقالت)، محمّلاً بضمير الغائب (هي) المحيل على عنيزة داخليّاً وقبليّاً، ويستمرّ الشّاعر في استثمار طاقة الضّمائر نحو الكاف، ممّا أمكننا من الوقوف على الآتي:

[١] بوقراف، لغويني: مفهوم الإحالة وموقعها من التّماسك النّصّيّ، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، مجلّد ١٠، عدد ٥، ٢٠٢١م، ص٣٤٦.

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير	العبارة	الوظيفة
قبليّة داخليّة	الشّاعر	تاء الرّفع المضمومة	دخلتُ	تجربة ذاتيّة
قبليّة داخليّة	عنيزة	ضمير مستتر (هي)	قالت	خلق جوّ حواريّ
قبليّة داخليّة	الشّاعر	كاف الخطاب	لكَ	علاقة المخاطبة بالمخاطب
قبليّة داخليّة	الشّاعر	كاف الخطاب	إنكَ	علاقة المخاطبة بالمخاطب
قبليّة داخليّة	عنيزة	ياء المتكلّم	مرجلي	علاقة المخاطبة بالمخاطب

وفي قوله: (تقول وقد مال الغبيط بنا معاً عقرت بعيري يا امرأ القيس فانزلِ) نرى (نا) الفاعلين وضمير الغائب (هي)، وتاء الرّفع وياء المتكلّم والضّمير المستتر (أنت) محيلات ضمائريّة موزّعة وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	نوع الضّمير	المحيل	العبارة
قبليّة داخليّة	المرأة	مستتر	هي	تقول
قبليّة داخليّة	الشّاعر والمرأة	متّصل	نا	بنا
قبليّة داخليّة	الشّاعر	متّصل	ت	عقرت
قبليّة داخليّة	المرأة	متّصل	ي	بعيري
قبليّة داخليّة	المخاطب والشّاعر	مستتر	أنت	انزلِ

ونلاحظ أنّ أسلوب الالتفات الذي تحوّل من الغائب إلى الخطاب أبرز منحى دلاليّاً خاصّاً يبرز مكانة المخاطَب، وفي قول الشّاعر: (فقلت لها سيري وأرخي زمامه ولا تبعديني من جناك المعلّل)، نوّع الشّاعر في ضمائره بين تاء الرّفع المحيلة على المتكلّم وهاء الغائب والضّمير المستتر المخاطب للمفردة المؤنّثة (أنتِ)، وهاء الغائب للمفرد المذكّر وياء المتكلّم، وكاف الخطاب وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير	نوع الضّمير	العبارة
قبليّة داخليّة	الشّاعر	تُ	متّصل	قلتُ
قبليّة داخليّة	المرأة	ها	متّصل	بها
قبليّة داخليّة	المرأة	أنتِ	مستتر	أرخي
قبليّة داخليّة	المطيّة	ه	متّصل	زمامه
قبليّة داخليّة	الشّاعر ومخاطبته	ياء المتكلّم وياء المؤنّثة للمخاطبة	متّصل	تبعديني
قبليّة داخليّة	المرأة	ك	متّصل	جناكِ

وفي قوله: (فمثلك حبلى قد طرقتُ ومرضعٍ فألهيتها عن ذي تمائم مغيل)، نجد كاف الخطاب العائد على المرأة المخاطبة التي حضرت في سياق أبياتٍ سابقة، وهي المحبوبة فاستثمر الشّاعر الضّمائر في إحالة داخليّة قبليّة، ثمّ جاء بتاء الرّفع للمتكلّم ليشير إلى ذاته في الإحالة الدّاخليّة القبليّة التي التفت عنها إلى (ها) الغائب في ألهيتها، فتوزّعت الإحالات على الآتي:

نوع الإحالة	المحيل عليه	الضّمير	نوعه	العبارة
قبليّة داخليّة	المرأة المحبوبة	كاف الخطاب	متّصل	مثلكِ
قبليّة داخليّة	الشّاعر	تاء الرّفع	متّصل	طرقتُ

قبليّة داخليّة	الشّاعر	تاء الرّفع	متّصل	ألهيتها
قبليّة داخليّة	الحبلى والمرضع	ها الغائب	متّصل	ألهيتها

لقد عكست الإحالات جرأة الشّاعر وقدرته على تصوير اقتحامه خدر المحبوبة ليأسر قلب النّساء، واختار الحبلى والمرضع لأنّهما أزهد النّساء في الرّجال، مما يعطي رغبتهنّ فيه مبالغة في وصف انجذابهما للشّاعر القويّ.

وفي قوله: (إذا ما بكى من خلفها انحرفت له بشقّ وشقّ عندنا لم يحول)،محاولة لإبراز المشهد الغرامي بين الشّاعر ومعشوقته وكيف فضّلته على طفلها الباكي ثمّ أثارها بكاؤه لكنّها لم تترك الشّاعر رغم ميلها للطّفل، وهنا أسهمت المحيلات الضّميريّة على رسم المشهد وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير	نوعه	الوظيفة
داخليّة قبليّة	المرأة	ها	متّصل	تصوير حالة الطّفل خلف أمّه
بعديّة داخليّة	الطّفل	ه	متّصل	تصوير استجابة الأم لبكاء الطّفل
قبليّة داخليّة	الشّاعر ومن معه	نا	متّصل	كناية عن أثر الشّاعر وجاذبيّته الثّابتة في من معه

وتنوّع الإحالات أكسب المشهد حيويّة، وأعطاه عمقاً دلاليّاً، وفي قول الشّاعر: (ويوماً على ظهر الكثيب تعذّرت عليّ وآلت حلفة لم تحلّل) نجد الشّاعر أمام تصوير تمنّع المحبوبة أو تظاهرها بهذا التّمنّع ممّا زاد من جمال الرّابط بينهما، لأنّه تمنّع الرّاغب، ثمّ نجد أنّها أقسمت قسماً على ألاّ تطيعه أو تقترب منه، لكنّها حنثت بذلك ممّا يوحي بالمفارقة بين القول والفعل، فالجوّ العامّ يعكس موقف الغرام والمراوغة الأنثويّة الجريئة، وقد بنى الشّاعر المشهد وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحيل عليه	الضّمير	النّوع	العبارة
قبليّة داخليّة	الشّاعر	ي	متّصل	عليّ
قبليّة داخليّة	الحلفة	هي	مستتر	تحلّل
قبليّة داخليّة	المحبوبة	هي	مستتر	تعذّرت– آلت

إنّ استعانة الشّاعر بالضّمائر التي تحيل إلى سابق يوحي برغبته في تحقيق انسجام نصّي متين، وهذا ما نراه أيضاً في قول: (أفاطم مهلاً بعض هذا التّدلّل وإن كنت قد أزمعتِ صرمي فأجملي) يخاطب محبوبته بصراحة ويعاتبها برقّة، وقد بنى إحالات الضّمائر في البيت السّابق وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير	نوعه	العبارة
قبليّة داخليّة	فاطمة	تِ	متّصل	كنتِ
قبليّة داخليّة	فاطمة	تِ	متّصل	أزمعتِ
قبليّة داخليّة	فاطمة	أنت	ياء المؤنّثة للمخاطبة	أجملي
قبليّة خارجيّة	الشّاعر	ياء المتكلّم	متّصل	صرمي

وقد أعطى أسلوب النّداء بما يملك من مقدرة خطابيّة ضمائر الخطاب دوراً واضحاً في تعميق الأثر الغرامي للشّاعر في حضرة محبوبته فاطمة، وفي قوله: (أغرّك منّي أنّ حبّك قاتلي وأنّك مهما تأمري القلب يفعلِ) نرى نضج العتاب ووصوله إلى مرحلة ذكر المسوّغات (حبّك قاتلي)، نرى تنوّع الإحالات الضّميريّة في البيت السّابق، ويمكن حصرها بالآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير	العبارة	نوع الضّمير
قبليّة داخليّة	المحبوبة	كاف الخطاب	أغرّكِ	متّصل
قبليّة داخليّة	الشّاعر	ياء المتكلّم	منّي	متّصل
قبليّة داخليّة	المحبوبة	كاف الخطاب	حبّكِ	متّصل
قبليّة داخليّة	المحبوبة	كاف الخطاب	أنّكِ	متّصل
قبليّة داخليّة	المحبوبة	أنتِ	تأمري	مستتر

والإحالة تتعلّق بألفاظ لا تملك دلالة مستقلّة، لذا تكتنز بدلالة ما تحيل عليه ، ففي قول الشّاعر: (خرجتُ بها تمشي تجرّ وراءنا على أثرينا ذيل مرط مرحّل)، نرى تصوير لحظة حميميّة مليئة بالمحيلات الضّميريّة، وهي موزّعة وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير المحيل	العبارة
قبليّة داخليّة	الشّاعر	ت	خرجتُ
قبليّة داخليّة	المحبوبة	ها	بها
قبليّة داخليّة	الشّاعر ومحبوبته	نا	وراءنا
قبليّة داخليّة	الشّاعر ومحبوبته	نا	أثرينا

لقد أفادت ضمائر الغائب الإيحاء بسريّة مشهد الحبّ، وإبراز الغرام الخفيّ، بينما جاء ضمير المتكلّم للجماعة (نا) لإبراز طرفي العلاقة الغراميّة والمحيط المهيمن على الشّاعر والمحبوبة، وفي قوله: (مهفهفة بيضاء غير مفاضة ترائبها مصقولة كالسّجنجل) نرى المحيلات الضّميريّة الآتية:

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير المحيل	العبارة	نوع الضّمير
قبليّة داخليّة	المحبوبة	هي	مهفهفة	مستتر
قبليّة داخليّة	المحبوبة	ها الغائب	ترائبها	متّصل

فالشّاعر استعان بالضّمائر ليستكمل صورة المشهد الغرامي حين جعل المحبوبة رقيقة ملمسها ناعم كمرأة مصقولة لامعة بوصف حسّيّ دقيق لجمال محبوبته الجسدي، وهذه الصّورة كوّنها الشّاعر بآليّة تخاطبيّة عبر رسالتها تجسّدت فيها أفكار المرسل في صورة موحية .[٢]

٣- الإحالة بالضّمائر في مشهد الطّبيعة :[٣]

في مشهد الطّبيعة نرى ربطاً واضحاً بين الألفاظ والجمل في النّصّ عبر إحالة ضميريّة داخليّة ربطت بين العناصر اللغويّة داخل النّص سواء أكانت قبليّة لعنصر تمّ ذكره سابقاً، أو بعديّة لعنصر سيتمّ ذكره لاحقاً، وعموماً الشّاعر

[١] ينظر: الزّناد، الأزهر: نسيج النّصّ، ص١٢١.

[٢] ينظر: بومزبر، الطّاهر: التّواصل اللساني والشّعريّة، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٧م، ص٢٧.

[٣] ينظر: ديوان امرئ القيس، ص١٨-١٩. الأبيات ٤٤-٤٨.

"يحمّل التّعبير وظيفة إحاليّة عند قيامه بعمليّة الإحالة" ، علماً أنّ العناصر المحلّيّة تحتاج للعودة إلى ما تشير إليه من أجل تأويلها، فالضّمائر تخضع لقيد دلاليّ يتوافق مع ما تحيل عليه، ففي قول الشّاعر: (أحار ترى برقاً كأنّ وميضه كلمع اليدين في حبيّ مكلّل)، يعود الضّمير في (وميضه) على البرق، وهو ضمير متّصل في محلّ جرّ مضاف إليه، ثمّ نجد ضمير المتكلّم (أحار)، وهو مستتر يليه خطاب مستتر في (ترى) تقديره (أنت)، ويمكن توزيع الإحالات في البيت السّابق وفق الآتي:

هاء الغائب	إحالة مباشرة	ضمير متّصل	يحيل على البرق
أنا	إحالة مباشرة	ضمير مستتر	يحيل على الشّاعر
أنت	إحالة مباشرة	ضمير مستتر	المخاطَب

وهذه الإحالات الضّميريّة المباشرة تعمّق أثر المشهد في المخاطَب، وتزيد من الاتّساق النّصّيّ، لأنّها إحالات ربطت أجزاء نصّيّة مكوّنة وحدة دلاليّة متكاملة في المبنى والمعنى.

وفي قول الشّاعر: (يضيء سناه أو مصابيح راهب أهان السّليط في الذّبال المفتّل) نجد هاء الغائب في سناه محمّلاً بالإحالة على سابق وهو الليل، ثمّ نجد المشهد يزداد شدّة وقسوة في قوله (السّليط) الذي يعكس الشّدّة والصّلابة والقوّة، وقد استحضر الشّاعر مشهد الذّبال وهو الحصان، وجعله (المفتل) لإبراز غزارة الشّعر الذي يغطّيه، وهذا يعكس حالة التّعقيد الشّعوري، فالضّمائر في البيت السّابق لا تحيل على أشخاص، لكنّها تحيل على محاور دلاليّة تشير إلى قسوة في سياق ليلٍ طويل ممتدّ اخترقه البرق فأضاء المشهد، وهي إضاءة عكست رغبة الشّاعر في الأمل والنّور، وفي قوله: (وأضحى يسحّ الماء عن كلّ فيقة يكبّ على الأذقان دوح الكنهبل)، وقد تراءت الضّمائر ما أحالت عليه في البيت السّابق وفقاً للآتي:

العبارة	الضّمير	نوعه	المحال عليه	نوع الإحالة
يضيء	هو	مستتر	البرق	قبليّة
سناه	هاء الغائب	متّصل	الليل	قبليّة
أهان	هو	مستتر	راهب	قبليّة

وهذا الحضور المنوّع للضّمائر الخاصّة بالغائب يعطي البيت انسيابيّة دلاليّة، لكن في قوله: (كأنّ سباعاً فيه غرقى غديّة بأرجائه القصوى أنابيش عنصل)، نجد الآتي:

العبارة	التّحليل الإحالي
سباعاً فيه غرقى	الضّمير (هـ) في فيه يعود على السّباع، بإحالة مباشرة
بأرجائه	الضّمير (هـ) في (أرجائه) يعود على المكان

نلاحظ تكثيفاً واضحاً لحضور الغائب في السّياق الدّلاليّ، وهذا يعطي إيحاءً جماليّاً خاصّاً، ولاسيّما عندما يجد الشّاعر نفسه في وصف الطّبيعة، فالسّباع لم يكن لفظاً يشير إلى كائن حيّ، إنّما كان مساحة لإبراز مشهد طبيعي، كثّفه الشّاعر بقوله: (وتيماء لم يترك بها جذع نخلة ولا أُطماً إلاّ مشيداً بجندل)، وفي هذا القول نجد الآتي:

العبارة	الضّمير	نوع الإحالة
لم يترك بها	هاء الغائب	قبليّة

[١] براون؛ بول، ج.: تحليل الخطاب، ترجمة: محمّد الزّليطي ومنير التّريكي، النّشر العلمي والمطابع، الرّياض، ط١، ١٩٩٧م، ص٣٦.

وهذه الإحالة القبليّة زادت الانسجام النّصّيّ وعمّمته ضمن حضور الآتي:

- الموقف النّفسي للشّاعر
- الرّؤى الشّعوريّة
- الحضور الرّؤيوي

ولو تأمّلنا قول الشّاعر: (كأنّ أبانا في أفانين ودقه كبير أناس في بجاد مزمّل) نجد الضّمائر الآتية:

- ضمير المتكلّم: (نا)
- ضمير الغائب: (هاء الغائب للمذكّر المفرد)

وقد حضر الضّميران ضمن إحالة قبليّة، وهذه الإحالة أشارت إلى تجربة جماعيّة للمتكلّم ومخاطبيه الحاضرين، وقد برز هذا في (أبانا)، وهاء الغائب المحيلة على (أبانا)، ممّا يعطي النّصّ انسجاماً خاصّاً مليئاً برغبة الشّاعر في وصف المشهد الطّبيعي.

وقد أفادت الإحالة في المشهد الطّبيعي لدى الشّاعر امرئ القيس من تجربة الوعي الشّاعر؛ إذ صاغها الشّاعر بما كثّف من الدّلالات الموحية التي اكتنزت بها الحمولات الضّميريّة، ولاسيّما في لحظات استحضار محيل ضميري للغائب، لأنّ هذا الغائب حضر في التّجربة الشّعوريّة حضوراً جماليّاً زاد من قدرة النّص على استنطاق الجوانب الانسجاميّة.

٤- الإحالة بالضّمائر في مشهد الفرس :[١]

لقد جاءت الإحالة متنوّعة في مشهد الفرس، إذ وردت ملوّنة، لكن ممّا لا شكّ فيه أنّ الضّمير هو الأكثر وروداً وتكراراً في هذا المشهد، فالرّبط الإحالي يسهم في ربط أجزاء النّصّ وتناسقه، وينسجم كلّ منها مع قانون الاقتصاد اللغويّ الذي تختزل فيه اللغة الخطاب اللغوي وتكثّفه؛ إذ تختصر هذه الوحدات الإحاليّة العناصر الإشاريّة وتجنّب مستعملها إعادة تكرارها ، ففي قوله: (يُطير الغلام الخفّ[٢] عن صهواته ويُلوي بأثواب العنيف المثقل) يحمل البيت مشهداً من مشاهد الفروسيّة، فالفرس شديد السّرعة والقوّة، حتّى إنّ الغلام الخفيف إن امتطاه طار، بينما الثّقيل فينثني ثوبه من قوّة الحركة، وهنا نجد دور الضّمائر في إبراز المشهد وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير	العبارة	نوع الضّمير
قبليّة داخليّة	الفرس	هاء الغائب	صهواته	متّصل
قبليّة داخليّة	العنيف	هو	يلوي	مستتر
قبليّة داخليّة	الفرس	هو	يُطير	مستتر

وهذا الامتداد للضّمائر وما تحيل عليه أبرز وصفاً دقيقاً لآثار سرعة الفرس وقوّته، وهذه القوّة رافقتها مفارقة بين امتطاء الفارس الشّديد والغلام لصهوة ذاك الفرس بهدف إبراز ثبات الشّاعر.

وتحمل الإحالة النّصّيّة في مشهد الفرس قوّة حضوريّة، إذ تشير إلى العلاقة بين عنصر لغويّ (كالضّمير) ومرجع له في المشهد الشّعري يكون سابقاً أو لاحقاً، فهي وسيلة فنيّة وجماليّة تعمّق الانفعال والتّعبير عن التّوتّرات النّفسيّة، ونقل المشاهد الحركيّة التي تلائم الفروسيّة، ففي قوله: (وقد أغتدي والطّير في وكناتها بمنجردٍ) نجد الضّمير المتّصل في (وكناتها)، والمستتر في (أغتدي)، يحملان الآتي:

---

[١] ينظر: ديوان امرئ القيس، ص١٩-٢٣. الأبيات من ٤٩-٦٦.

[٢] ينظر: الزّناد، الأزهر: نسيج النّص، ص١٢١.

– الضّمير المستتر يحيل على الشّاعر امرئ القيس (أنا)

– الضّمير المتّصل الغائب (ها) يحيل على الطّير

فالإحالة الأولى أشارت إلى حضور ذات الشّاعر بوصفه بطل الرّحلة الذي عاش لحظة الفعل والمغامرة، ثمّ نجد قوله: (قيد الأوابد هيكل) يحمل هويّة محالا عليها وهي الفرس المنجرد، فهي إحالة خلفيّة لأنّها أشارت إلى سابق ورد قبل اللفظ، وهذا القَبْل هو(منجرد)، ممّا أسهم في توحيد الصّورة الذّهنيّة لمشهد الفرس وتحقيق الانسياب السّردي لمشهد الفرس.

ونجد الضّمير المستتر هو في قوله: (مكرّ مفرّ مقبل مدبرٍ معاً) يعود على الفرس ممّا يبرز حيويّة وحركة عبر سلسلة من الصفات التي تظهر قوّة الفرس وسرعته وقدرته على المناورة، فالفرس الموصوف بالضّمائر يمثّل أبعاداً رمزيّة تجمع صفات البطولة والرّجولة والاندفاع والاقتحام، وهذا يعزّز القدرة التي يريد الشّاعر التّعبير عنها والوصول إليها عبر هذا الوصف التّراكميّ.

ويمكن ملاحظة الآتي:

الوظيفة النّصيّة	نوع الإحالة	المحال عليه	نوع المحيل/ الضّمير	العبارة
تأكيد ذاتيّة التّجربة	إحالة حاضرة	الشّاعر	متّصل	أغتدي (أنا مستترة)
ربط الوصف بفرس الشّاعر	إحالة خلفيّة	الفرس	ضمني	هيكل (هو ضمني)
إضفاء الحركيّة	إحالة خلفيّة	الفرس	مستتر	هو

نلاحظ أنّ الإحالة خلقت اتّساقاً نصّياً، فالضّمائر لم تربط الجمل فحسب، بل ربطت أوصاف الفرس المختلفة، ممّا أغنى النّص وجنّبه التّكرار، وهذا أسهم في تحقيق انسجام عبر تسلسل الضّمائر، وخدم تطوّر المشهد من الغدوّ باكراً إلى وصف الفرس القادر الذي كان معادلاً فنّياً للشّاعر، فالشّاعر أعطاه صفات القوّة لأنّه أراد إبراز قوّته هو، فالفرس القويّ يستدعي فارساً قويّاً لذا قال عنه (جلمود صخر) ليبرز ثبات الذّات الشّاعرة وقوّتها.

وقد أسهم الضّمير في تحقيق تكثيف دلاليّ، فالضّمائر المستترة وهبت النّصّ توتّراً لغويّاً زاد من القدرة الإيحائيّة التي قوّت المعنى وأشركت السّامع في تكوين التّجربة الشّعوريّة، وهذا جعلنا أمام إحالة ضميريّة مثّلت أداة لغويّة بنت مشهداً شعريّاً متماسكاً متوتّراً في الآن ذاته، لكنّه التّوتّر المرافق للحيويّة ممّا أوصل لنا الشّعور بالحركة، وهذا ينسجم مع الفروسيّة وروح المغامرة التي تحلّى بها الشّاعر.

وفي قوله: (فعنّ لنا سرب كأنّ نعاجه عذارى دوار في الملاء الذّيل)، نجد تشبيهاً لقطيع النّعاج الوحشيّة بجمال العذارى في تمايلهنّ، لذا جاء (نا) الفاعلين ليبرز أبطال التّجربة الشّعوريّة التي يمثّل الشّاعر مركزها، وهنا يمكن الوقوف على الآتي:

نوع الإحالة	المُحال عليه	الضّمير	نوعه	العبارة
قبليّة داخليّة	الشّاعر ورفاقه	نا	متّصل	لنا
قبليّة داخليّة	السّرب	الهاء	متّصل	نعاجه

وتبرز الضّمائر بما تحيل عليه الصّورة الشّعريّة لحالة التّرقّب والجمال في مشهد الصّيد الذي يشكّل امتداداً لعرض فروسيّة الشّاعر وقوّته؛ إذ ظهرت براعة امرئ القيس في الوقوف على وصف تضاريس فريسة القوي وما تستدعيه تلك القوّة من استحضار صورة الفارس الخارق، وفي قول الشّاعر: (فأدبرن كالجذع المفصّل بينه بجدّ مُعَمٍّ في العشيرة

فحول) نرى صورة واضحة لتعميق مشهد القوّة وفقاً لامتداد الضّمائر الآتية: (نون النّسوة، هاء الغائب، والضّمير المستتر هو)، وذلك وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير	العبارة
قبليّة داخليّة	الجذع	هاء الغائب	بينه
قبليّة داخليّة	النّعاج	نون النّسوة	أدبرن

وهذا يعمّق فروسيّته حين يتحوّل الفرس إلى امتداد وجودي لكائن قويّ يريد أن يصمد في وجه الصّعوبات والعراقيل الوجوديّة وفي قول الشّاعر: (له أيطلا ظبي وساقا نعامةٍ وإرخاء سرحان وتقريب تتفلِ)، شبّه الشّاعر فرسه بصفات عديدة تعطيه مزيداً من السّرعة والقوّة فهو يمزج بين صفات الظّبي والنّعامة والذّئب والثّعلب، ويعطي له من كلّ حيوان الصّفة التي تعطيه سرعة أكبر، مستعيناً بطاقة المحيلات الضّميريّة على إكمال مشهد وصف فرسه، وفقاً للآتي:

نوع الإحالة	المحال عليه	الضّمير	العبارة
قبليّة داخليّة	الفرس	الهاء	له

لقد أشار الضّمير إلى مذكور في النّص، فهو مذكور في داخل النّصّ ويحيل على معروف وهو الفرس، وهذا أضفى وحدة موضوعيّة على النّصّ، إذ وصف الشّاعر فرسه بعدّة أبيات متتالية، وكلّ ضمير استدعى صورة سابقة سواء في البيت السّابق أو غيره، فبنى الشّاعر وصفه عموماً على ضمائر مليئة بالإشارات على سابق ولاحق، لكن غلبت الإشارات على سابق، فاكتظّت المعلّقة عموماً بالمحيلات الدّاخليّة القبليّة، وقد عكس ترابط الضّمائر بالسّياق زمنيّاً وبصريّاً قدرة الشّاعر على إعطاء نسق الحياة في الفرس خاصّة لكنّها الحياة التي أراد الشّاعر إبرازها في أكثر زواياها قدرة وسرعة وإبرازاً لفروسيّته.

٥- الإحالة بالضّمائر في مشهد الليل :[١]

مشهد الليل محمّل بالدّلالات النّفسيّة، ففي قول امرئ القيس: (وليل كموج البحرِ أرخى سدوله عليّ بأنواع الهموم ليبتلي) نرى الضّمير المتّصل في (عليّ) وهو يحيل على الشّاعر (المتكلّم)؛ إذ أراد الشّاعر تحميل الليل صفات تلقي بثقلها على أعماقه، ممّا يعمّق إحساسه بالهموم والوحدة، ثمّ نجد قوله: (فقلت له)، يحمل ضميرين هما:

- المتكلّم: تاء الرّفع المضمومة المحيلة على الشّاعر
- والغائب: هاء الغائب المحيلة على الليل

فالشّاعر في سياق إحالة خلفيّة، المُحال عليه هو الليل، والمحيل هاء الغائب، وهذا أسهم في تشخيص الليل وجعله مُحاوِراً، ممّا منح النّص دراميّة مليئة بالحيويّة، ثمّ نراه يقول: (بصلبه، أعجازه، ...) محمّلاً هذه المفردات ضمير الغائب المفرد (الهاء) المحيل على الليل، عبر إحالة خلفيّة مستمرّة التّدفّق، وهذا الاستمرار في تشخيص الليل وجعله كائناً ضخماً جسديّاً يحمل رمزيّة نفسيّة تشير إلى نقل الهموم الجاثمة على صدر الشّاعر، أمّا قوله: (ليبتلي) فهو محمّل بضمير (هو) المستتر الذي يحيل إحالة خلفيّة على الليل، فالشّاعر جعل الليل فاعلاً متعمّداً في تعذيبه، ويمكن رصد ما سبق وفقاً للآتي:

الوظيفة النّصّيّة	نوع الإحالة	المحال عليه	نوع المحيل	الضّمير وسياقه
نقل ثقل الليل إلى ذات الشّاعر	إحالة حاضرة	الشّاعر	متّصل	عليّ

[١] ينظر: ديوان امرئ القيس، ص٢٤-٢٦. الأبيات من ٦٧-٧٧.

تشخيص الليل وإنشاء حوار	خلفيّة	الليل	متّصل	له
تجسيد الليل وتضخيمه	خلفيّة	الليل	ها الغائب	بصلبه، أعجازه،..
جعل الليل فاعلاً في الشّاعر	خلفيّة	الليل	مستتر (هو)	ليبتلي

لقد أسهمت هذه الصّور الإحاليّة في خلق اتّساق نصّيّ، إذ إنّ الضّمائر حافظت على تماسك النّصّ من دون استدعاء التّكرار للفظة (الليل)، بل نجد ربطاً واضحاً للوصف بالفعل والانفعال معاً، لكن في الوقت ذاته كان لدينا تكرار ضمنيّ للضّمائر المحيلة على الليل، ممّا عمّق حضور أثر الليل، وتعميق الإحساس بثقل الزّمن في ذاك الليل للإيحاء بفداحة المعاناة، فالليل تحوّل إلى كائن محسوس، بل شخص يحاوره الشّاعر، وهذا بوساطة الضّمائر التي فتحت أبواب التّأويل وتكثيف المتن الدّلالي والعاطفي؛ لأنّ ضمائر المتكلّم أوصلت المتلقّي إلى محور المعاناة المتمثّل بالشّاعر (امرئ القيس) وهذا خلق تفاعلاً وجدانيّاً داخليّاً مكثّفاً، إذ أجاد الشّاعر توظيفه للضّمائر في متن شعريّ عميق لأدوات لغويّة تبدو بسيطة ظاهريّاً، لكنّها عملت على تفعيل الدّلالة الموحية بمعاناة الشّاعر.

وفي قوله: (فقلت له لمّا تمطّى بجوزه وأردف أعجازاً وناء بكلكلِ)، نجد أنّ ضّمير المتكلّم في (قلتُ) يشير إلى التّجربة الذّاتيّة للشّاعر، فالإحالة كانت مقاميّة في موضعين:

– قلتُ – أردف: يعود إلى المتكلّم في اللحظة الحاليّة.

– له: يعود إلى المخاطب أو الغائب في الحوار.

وكانت إحالة خارجيّة في قوله: (تمطّى)، والمحيل ضمير مستتر تقديره (هو)، إذ يحيل على شيء مذكور سابقاً في النّصّ، وهو (الفرس)، وفي قول الشّاعر: (ألا أيّها الليل الطّويل ألاً انجلِ بصبحٍ وما الإصباح فيك بأمثلِ)، نجد مخاطبة مقاميّة في(أيّها) وهي لحظة خطابيّة مباشرة لليل، وتلاه إحالة مقاميّة (انجلِ)، ونجد في البيت السّابق الضّمائر وفقاً للآتي :

الدّلالة	نوع الإحالة	نوع الضّمير	المحيل	العبارة
مخاطبة مباشرة للمقام الحاضر والليل الطّويل	مقاميّة	مخاطب	ها	أيّها
يعود على الشّاعر أو المتحدّث في النّصّ	مقاميّة	متكلّم	أنت	انجلِ
يعود على الليل الطّويل	خارجيّة	غائب	الكاف	فيكَ

ولو تأمّلنا قوله: (فيا لك من ليلٍ كأنّ نجومه بكلّ مغار الفتل شدّت بيذبل)لوجدنا الضّمير المتّصل في (لك) محيلاً على الليل إحالة بعديّة؛ لأنّ الليل جاء بعد الضّمير ثمّ نجد هاء الغائب في إحالة قبليّة، ونرى الضّمير المستتر في (شدّت) يحيل على النّجوم إحالة قبليّة وذلك وفقاً للآتي:

الضّمير المحيل	العبارة	نوع الضّمير	نوع الإحالة	المعنى المعطى
ك	لك	متّصل	مقاميّة	الليل مخاطب مجازيّاً لإعطاء حيويّة للمشهد
هـ	نجومه	متّصل	خارجيّة	وصف طول الليل
هي	شُدّت	مستتر	خارجيّة	ثبات ثقل الليل

وفي قول الشّاعر: (كأنّ الثّريّا علّقت في مصامها بأمراس كتّان إلى صمّ جندلِ) يصوّر البيت مشهداً جماليّاً لليل الطّويل العاكس الثّقل النّفسي المرافق للهموم المتراكمة، ويمكن توزيع الضّمائر وفقاً للآتي:

المحيل	الحامـــل	نـــــوع	نـــــوع	التّعليل

	للمحيل	الضّمير	الإحالة	
ها	مصامها	متّصل	خارجيّة	الضّمير يحيل على الثّريّا المذكورة قبله صراحة
هي	علّقت	مستتر	خارجيّة	الفاعل هو الثّريّا المذكور قبل الفعل

نلاحظ أنّ الضّمائر في البيت السّابق أشارت إلى المتكلّم أو المخاطب في سياق حواري مقاميّ، وهذا أفاد في إضاءة معنى البيت الذي وصف بشكل جميل منظر الثّريّا كعنقود نجميّ في السّماء، إنّها ثريّا مربوطة في مكانها لا تريد مغادرة السّماء، وقد أضفى عليها الشّاعر كل ما يزيد من ثباتها وديمومة وجودها، والضّمير المستتر في علّقت، كان في محل رفع نائب فاعل في إحالة خارجيّة عمّقت الأثر الوجداني.

خاتمة:

إنّ الوقوف على الاتّساق النّحويّ في معلّقة امرئ القيس وتتبّع الإحالة بالضّمائر جعلنا نقف على النّتائج الآتية:

– إن معلقة امرئ القيس غنية بعناصر الإحالة على مختلف أنواعها الإحالية..

إن دراسة الإحالة بالضمائر في مقطعي وصف الطلل والمرأة أظهرت أن هذه الظاهرة ليست مجرد عنصر لغوي بل هي أداة محورية في بناء الاتساق النصي وتحقيق الترابط الداخلي للأبيات فقد أتاح تتبع الضمائر وإحالاتها الكشف عن الآليات التي اعتمدها الشاعر لربط الماضي بالحاضر و لإحياء الصور الشعرية بطريقة تجمع بين الكثافة الدلالية والاختصار الأسلوبي كما تبين أن الإحالة الضميرية في وصف الطلل لم تقتصر على الإشارة إلى المعالم المكانية بل أسهمت في تعميق البعد العاطفي والوجدانية للنص بما يتيح للقارئ الشعور بالحنين والذكريات ،أما في وصف المرأة فقد لعبت الضمائر دورا مهما في إبراز حضورها الرمزي والجمالي وربط هذا الحضور ببنية المعلقة العامة.

– لم يلغِ تنوّع الموضوعات في المعلّقة الاتّساق النّصّيّ بفضل وجود الإحالات الضّمائريّة.

– أدت الضّمائر بأنواعها الثّلاثة المقاميّة والخارجيّة والدّاخليّة دوراً بارزاً في انتاج الدلالة.

–ارتبطت الإحالة المقاميّة بالسّياق التّخاطبيّ، والخارجيّة بعناصر خارج النّصّ، والدّاخليّة بمكوّنات نصّيّة سابقة أو لاحقة.

– أسهمت محيلات الضّمائر في تحقيق تناسق نصّيّ مدروس البناء والمعنى.

– كانت إحالات امرئ القيس موجّهة نحو بناء نسق تعبيريّ متكامل خدم البيئة الشّعوريّة للنّصّ وعزّز تماسكه.

–أدّت الإحالات وظائف فنّيّة وجماليّة تشير إلى وعي الشّاعر وقدرته.

ويمكن القول إنّ إحالات الشّاعر لم تحل على المعاني المرادة فحسب ،بل أحالتنا أيضاًعلى عالم شعريّ مكتنز بالإبداع.

ثبت المصادر والمراجع

١- براون؛ بول، ج.: تحليل الخطاب، ترجمة: محمّد الزّليطي ومنير التّريكي، النّشر العلمي والمطابع، الرّياض، ط١، ١٩٩٧م.

٢- بوقراف، لغويني: *مفهوم الإحالة وموقعها من التّماسك النّصّيّ*، مجلّة إشكالات في اللغة والأدب، مجلّد ١٠، عدد ٥، ٢٠٢١م.

٣- بوقرة، نعمان: *المصطلحات الأساسيّة في لسانيّات النّص وتحليل الخطاب /دراسة معجميّة/*، عالم الكتب الحديث، جدار للكتاب العالمي، الأردن، ط١، ٢٠٠٩.

٤- بومزير، الطّاهر: *التّواصل اللساني والشّعريّة*، منشورات الاختلاف، ط١، ٢٠٠٧م.

٥- خطّابي، محمّد: *لسانيّات النّصّ- مدخل إلى انسجام الخطاب*، المركز الثقافي العربيّ، بيروت-لبنان، ط١،

٦- الزّناد، الأزهر: *نسيج النّصّ- بحث فيما يكون به الملفوظ نصّاً*، المركز الثقافي العربي، الدّار البيضاء، المغرب، ط١، ١٩٩٣م. ١٩٩١م.

٧- الشّاوش، محمّد: *أصول تحليل الخطاب في النّظريّة النّحويّة العربيّة – تأسيس (نحو النّصّ)*، جامعة منوبة، المؤسّسة العربيّة للتّوزيع، تونس، ٢٠٠١م.

٨- عفيفي، أحمد: *نحو النّصّ – اتّجاه جديد في الدّرس النّحويّ*، مصر: مكتبة زهراء الشّرق، ط١، ٢٠٠١م.

٩- الفقي، صبحي إبراهيم: *علم اللغة النّصِّيّ بين النّظريّة والتّطبيق – دراسة تطبيقيّة على السّور المكيّة*، دار قباء، ط١ ، ١٤٢١ هـ – ٢٠٠٠ م.

١٠- امرؤ القيس: *ديوان امرئ القيس*، تحقيق: محمّد أبو الفضل إبراهيم، دار المعارف، القاهرة – مصر، ط٥.

11- Halliday and Hasan: Cohesion in English.

ثبت المصادر والمراجع

1- Brown, P. J. (1997). *Discourse Analysis (M. Al-Zlayti & M. Al-Triki, Trans.).* Al-Nashr Al-Ilmi wa Al-Matabi.‘

2- Bouguerraf, L. (2021). *The concept of reference and its place in textual cohesion.* Issues in Language and Literature Journal, 10(5.(

3- Bouguera, N. (2009). *Basic terms in text linguistics and discourse analysis*: A lexical study. Al-Maktab Al-Hadith & Jidar for World Books.

4- Boumazeer, T. (2007). *Linguistic communication and poetics*. Ikhtilaf Publishing.

5- Khattabi, M. (1991). Text linguistics: An introduction to discourse coherence. Arab Cultural Center.

6- Al-Zannad, A. (1993). *The fabric of the text: A study of what makes an utterance a text.* Arab Cultural Center.

7- Al-Shaawish, M. (2001*). Foundations of discourse analysis in Arabic grammatical theory: Establishing text grammar*. University of Manouba, Arab Distribution Foundation.

8- Afifi, A. (2001). Text grammar: *A new direction in grammatical studies*. Zahraa Al-Sharq Library.

9- Al-Faqi, S. I. (2000*). Text linguistics between theory and practice:* An applied study on Meccan surahs. Qabaa Publishing House.

10- Imru’ al-Qays. (n.d.). Diwan Imru’ al-Qays (M. Abu Al-Fadl Ibrahim, Ed.). Dar Al-Maaref. (5th ed.(.

11- Halliday, M. A. K., & Hasan, R. (1976). Cohesion in English. Longman.